المئوية

من شرح العقيدة الواسطية

مائة فائدة من شرح العقيدة الواسطية

للعلامة الشيخ/ محمد بن عثيمين — رحمه الله

جمع وترتيب

صالح بن فلاح المورقي　　　فهد بن الحميدي البراق

تقديم

فضيلة الشيخ/ عبد الله بن مانع العتيبي

مدار الوطن للنشر



الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

مدار الوطن للنشر-الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب: ٣٣١٠

فرع السويدي: هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ - فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧

المنطقة الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨

المنطقة الشرقية والرياض: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨

المنطقة الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨

المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٧

التوزيع الخيري: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ - ٢٨٣١٤٥٣

التسويق والمعارض الخارجية: ٠٥٠٦٤٩٥٦٢٥

- البريد الإلكتروني: pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الإنترنت: www.madar-alwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ
عبد الله بن مانع العتيبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ "**الفوائد المئوية من شرح الشيخ محمد بن عثيمين على الواسطية**" للأخوين الفاضلين:

١- صالح المورقي.

٢- فهد البراق.

فألفيته مختصرًا مفيدًا وتقريبًا نافعًا لمن رام النظر في شروح العقيدة الواسطية؛ بل هو كالمدخل لدراسة العقيدة بعامة، ووجدته سهلًا يمكن فهمه ومعرفة ما فيه لا يستعصي ذلك على المبتدئ في الطلب من الذكور والإناث.

ومما زاد إيضاحه وضعه في نقاط مرقمة، كل فائدة منفصلة عن الأخرى يمكن استيعابها لوحدها.

وهذا المسلك – أعني ترقيم الشروح والمؤلفات – له أصل في وضع العلوم، فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: "**أربع لا تجوز في الأضاحي**..."، وقال: "**سبعة يظلهم الله في ظله**..."، وقال:"**اجتنبوا السبع الموبقات**..." الخ وهذا كثير جدًّا.

فبارك الله في هذا الجهد ونفع به كما نفع بأصله، والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتب

أبو محمد عبد الله بن مانع

٦/ ٦/ ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وبعد ..

فهذه مائة فائدة مستخلصة من شرح العقيدة الواسطية للإمام العلامة / محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - أردنا أن نضعها بين يدي طالب العلم ؛ لأن هذا العلم – أي علم العقيدة – من أهم العلوم التي ينبغي على الإنسان أن يتعلمه ويعتني بدراسته وحفظ أدلته ومتونه ، فهو العلم الذي تقوم عليه حياة الإنسان ومن أجله خُلق الإنس والجان ، وبه يعرف الإنسان ربه ويتعرف على أسمائه وصفاته ويعرف ما يجوز في حق الله وما يستحيل ، ومن المعلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم .

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٥/ ٥/ ١٤٢٥هـ

الفائدة الأولى

أتقى الناس لله تعالى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أخشاهم له وأشدهم رغبة فيما عنده، فهو عبد الله ومقتضى عبوديته أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا وليس له حق في الربوبية إطلاقًا، بل هو عبد محتاج إلى الله مفتقر له يسأله ويدعوه ويرجوه ويخافه وقد أمره الله تعالى أن يبلغ بذلك ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

الفائدة الثانية

معنى صلى الله عليه وسلم ثناء الله عليه في الملأ الأعلى، وأما من فسرها بالرحمة فقول ضعيف؛ لأن الرحمة تكون لكل أحد، ولهذا أجمع العلماء بجواز قول: "فلان رحمه الله" واختلفوا بقول: "فلان صلى الله عليه وسلم" وهذا يدل على أن الصلاة غير الرحمة، والله تعالى يقول: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٧]. فالصلاة أخص من الرحمة.

الفائدة الثالثة

الفرقة الناجية: الفرقة بكسر الفاء، بمعنى الطائفة الناجية أي الناجية في الدنيا من البدع سالمة منها، وناجية في الأخرى من النار.

والمنصورة إلى قيام الساعة: أي المنصورة من الرب عز وجل ومن الملائكة ومن عباده المؤمنين، وقد يرد إشكال بأن الساعة تقوم على شرار الخلق وأنها لا تقوم حتى لا يقال : الله الله، فكيف يجمع بينها وبين قول "إلى قيام الساعة " .

فالجواب: أن المراد هنا إلى قرب قيام الساعة [1] .

الفائدة الرابعة

لا يتحقق الإيمان بالله إلا بأربعة أمور هي: الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، والإيمان بربوبيته أي بانفراده بالربوبية، والإيمان بانفراده بالألوهية، والإيمان بأسمائه وصفاته .

الفائدة الخامسة

الملائكة عالم غيبي لا يُشَاهدون - وقد يُشَاهدون [2] - مخلوقون من نور، مكلفون بما كلفهم الله به من العبادات وهم خاضعون لله عز وجل أتم الخضوع ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]. وهم أجساد بدليل قوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ ﴾ [فاطر: ١] وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خُلِق عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق، وهذا خلافاً لمن قال أنهم أرواح.

(١) ولفظ الخبر حتى يأتي أمر الله " وهو الريح التي تقبض أهل الإيمان فلا يبقى إلا الكفار.
(٢) قد للتقليل .

الفائدة السادسة

رسل الله هم الذين أوحى الله إليهم بالشرائع وأمرهم بتبليغها وأولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣]. ومن السنة ما ثبت في حديث الشفاعة أن أهل الموقف يقولون لنوح: "أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض" [البخاري ٧٤٤٠، ومسلم ١٩٤] وأما آدم فهو نبي وليس برسول ، وأما ما ذهب إليه كثير من المؤرخين وبعض المفسرين إلى أن إدريس قبل نوح وأنه من أجداده فالقرآن والسنة تردّه والصواب ما ذُكر والدليل على أن آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الفائدة السابعة

قد يقول قائل إن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان وهو رسول فكيف يكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل فنقول: إن عيسى عليه السلام لا ينزل بشريعة جديدة وإنما يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد يقول قائل: إن من المتفق عليه أن خير هذه الأمة بعد نبيها

أبوبكر، وعيسى يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيكون من أتباعه فكيف يصح القول بأن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ؟

فنقول: إن عيسى ليس من الأمة ولا يصح أن نقول إنه من أمته وهو سابق عليه لكنه من أتباعه إذا نزل؛ لأن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم باقية إلى يوم القيامة.

الفائدة الثامنة

من المعلوم أن الركن السادس من أركان الإيمان هو الإيمان بالقدر خيره وشره، فوصف القدر بالخير الأمر فيه ظاهر ، وأما وصفه بالشر فالمراد به شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله؛ لأن فعل الله عز وجل ليس فيه شر فكل أفعاله خير وحكمة ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم [رقم ٧٧١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **((والشر ليس إليك))**.

الفائدة التاسعة

القرآن: كتاب الله تعالى، وسماه الله كتاباً لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ومكتوب في الصحف التي بأيدي السفرة الكرام البررة، ومكتوب كذلك بين الناس يكتبونه في المصاحف، فهو كتاب بمعنى مكتوب، وأضافه الله إليه لأنه كلامه سبحانه وتعالى تكلم به حقيقة فكل حرف منه فإن الله قد تكلم به ، والقرآن الكريم يتفاضل باعتبار مدلولاته

وموضوعاته، فسورة الإخلاص التي فيها الثناء على الله عز وجل بما تضمنته من الأسماء والصفات ، ليست كسورة المسد التي فيها بيان حال أبي لهب من حيث الموضوع، كذلك يتفاضل من حيث التأثير والقوة في الأسلوب، فإن من الآيات ما تجدها آية قصيرة لكن فيها ردع قوي للقلب وموعظة له ، ونجد آية أخرى أطول منها بكثير لكن لا تشتمل على ما تشتمل عليه الأولى ، فمثلاً قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] إلخ هذه الآية موضوعها سهل والبحث فيها بمعاملات تجري بين الناس وليس فيها ذلك التأثير الذي يؤثره مثل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فهذه تحمل معاني عظيمة فيها زجر وموعظة وترغيب وترهيب ليس كآية الدين مثلاً، مع أن آية الدين أطول منها .

هذا باعتبار المدلولات والموضوعات أما باعتبار المتكلم فإنه (أي القرآن الكريم) لا يتفاضل لأن المتكلم به واحد وهو الله عز وجل، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت لا يماثل أصوات المخلوقين ومن عقيدتهم أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود .

ومن أدلة كلام الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٠] .

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٤] .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠]
وهذه الآية من الأدلة على أن كلامه تبارك وتعالى بصوت مسموع .

وما من آية من كتاب الله إلا وتجد فيها اسماً من أسماء الله، أو فعلاً من أفعاله، أو حكماً من أحكامه؛ بل لو شئت لقلت : كل آية من كتاب الله فهي صفة من صفات الله ، لأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل فكل آية منه فهي صفة من صفات الله عز وجل .

والقرآن منزل ليس مخلوق والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] والقرآن من الأمر لقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] .

ولأن الكلام صفة المتكلم، أمّا المخلوق فمفعول للخالق، بائن منه كالمصنوع بائن من الصانع .

وذكر ابن القيم – رحمه الله – أننا إذا أنكرنا أن الله يتكلم فقد أبطلنا الشرع والقدر.

أما الشرع : فلأن الرسالات إنما جاءت بالوحي والوحي كلام مبلغ إلى المرسل إليه ، فإذا نفينا الكلام انتفى الوحي ، وإذا انتفى الوحي انتفى

الشـرع .

أما القدر: فلأن الخلق يقع بأمره بقوله كن فيكون، كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] .

الفائدة العاشرة

صفات الله تبارك وتعالى من الأمور الغيبية، والواجب على الإنسان نحو الأمور الغيبية أن يؤمن بها على ما جاءت دون الرجوع إلى شيءٍ سوى النصوص، فالعقل لا يمكن له أن يدرك هذه الصفات الخاصة بالخالق عز وجل ، والإنسان فيه روح لا يحيا إلا بها، ولولا أن الروح في بدنه ما حيى ولا يستطيع أن يصف الروح لو قيل له: ما هذه الروح التي بك ، ما هي التي إن نزعت منك صرت جثة هامدة وإذا بقيت فأنت إنسان تعقل وتفهم وتدرك؟ لجلس ينظر ويفكر ولا يستطيع أن يصفها أبداً مع أنها قريبة منه وبين جنبيه ويعجز عن إدراكها، فكيف يحاول أن يصف الرب بأمر لم يصف به نفسه.

الفائدة الحادية عشر

العقل لا مجال له في باب الأسماء والصفات؛ لأن مدار إثبات الأسماء والصفات أو نفيها على السمع ، فعقولنا لا تحكم على الله أبداً فالمدار إذاً على السمع خلافاً للأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل التعطيل الذين جعلوا المدار في إثبات الصفات أو نفيها على العقل فقالوا ما اقتضى

العقل إثباته ، أثبتناه سواء أثبته الله لنفسه أم لا ، وما اقتضى نفيه نفيناه! وإن أثبته الله .

الفائدة الثانية عشر

التحريف: يعني التغيير وهو إما لفظي أو معنوي، والغالب أن التحريف اللفظي لا يقع وإذا وقع لا يقع إلا من جاهل . ولكن التحريف المعنوي هو الذي وقع فيه كثير من الناس ، وأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خالٍ من التحريف .

الفائدة الثالثة عشر

من تمام الإسلام لله عز وجل ألا تبحث في الأمور المتعلقة بأسماء الله وصفاته على سبيل التعنت والتنطع والشيء الذي ما سأل الصحابة عنه؛ لأنه لو فتح الإنسان على نفسه بابًا فتحت عليه أبواب وتهدمت أسوار وعجز عن ضبط نفسه فالواجب القول : سمعنا وأطعنا حتى نسلم .

الفائدة الرابعة عشر

التمثيل: ذكر مماثل للشيء ، وبينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق؛ لأن كل ممثِّل مكيِّف وليس كل مكيف ممثِّلاً ، لأن التكييف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل ، مثل أن تقول لي قلم كيفيته كذا وكذا . فإن قرنت بمماثل صار تمثيلاً ، مثل أن تقول هذا القلم مثل هذا القلم .

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله عز وجل الصفات بدون مماثلة ،

يقولون إن الله عز وجل له حياة وليست مثل حياتنا ، وله علم وليس مثل علمنا ، وله بصر وليس مثل بصرنا ، وله وجه وليس مثل وجوهنا ، وله يد وليست مثل أيدينا، وهكذا مع جميع الصفات .

الفائدة الخامسة عشر

أسماء الله عز وجل توقيفية، فلا يمكن أن نثبت له إلا ما ثبت بالنص، فإذا سميت الله بما لم يسم به نفسه فقد ألحدت وملت عن الواجب.

وتسمية الله بما لم يسمِّ به نفسه سوء أدب مع الله وظلم وعدوان في حقه؛ لأنه لو أنّ أحداً دعاك بغير اسمك أو سماك بغير اسمك لاعتبرته قد اعتدى عليك وظلمك، هذا في المخلوق فكيف بالخالق؟

وعكس ذلك من أنكر شيئاً من أسمائه فسواءً أنكر اسماً واحداً أو أنكر الأسماء كلها أو بعضها التي أثبتها الله لنفسه فإذا أنكرها فقد ألحد فيها ووجه الإلحاد أنه لما أثبتها الله لنفسه وجب علينا أن نثبتها فإذا نفيناها كان إلحاداً وميلاً عما يجب فيها .

الفائدة السادسة عشر

لا يجوز للإنسان أن يحاول معرفة كيفية استواء الله على العرش أو يقوله بلسانه بل وحتى السؤال عن الكيفية؛ لأن الإمام مالكاً رحمه الله قال

"السؤال عنه بدعة" فلا تقل: كيف استوى؟ كيف ينزل؟ كيف يأتي؟ كيف وجهه؟ إن فعلت ذلك قلنا إنك مبتدع.

الفائدة السابعة عشر

يجب قبول ما دل عليه الخبر إذا اجتمعت فيه أوصاف أربعة :-

الأول: العلم قال تعالى ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] .

الثاني: الصدق قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢] .

الثالث: البيان والفصاحة قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

الرابع: سلامة القصد والإرادة قال تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء: ١٧٦] .

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٦].

ومن هذا يعلم أنه قد اجتمع في كلام الله الأوصاف الأربعة التي توجب قبول الخبر، وإذا كان كذلك فإنه يجب أن نقبل كلامه على ما هو عليه وأن لا يلحقنا شك في مدلوله؛ لأن الله لم يتكلم بهذا الكلام لأجل إضلال الخلق بل ليبين لهم ويهديهم، وقول الله عن نفسه أو عن غيره عن

أعلم القائلين ، ولا يمكن أن يعتريه خلاف الصدق ولا يمكن أن يكون كلاماً غير فصيح ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة وجب على المخاطب القبول بما دل عليه .

الفائدة الثامنة عشر

أجمع العلماء بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ويجب على أممهم تصديقهم، فمن كذَّب بالرسل أو كذبهم فهو كافر ، ومعلوم أن الله تعالى صدق الرسل ، صدقهم بقوله وبفعله :

أما بقوله فإن الله قال لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ [المنافقون: ١] فهذا تصديق بالقول .

أما تصديقه بالفعل، فبالتمكين له وإظهار الآيات فهو يأتي للناس يدعوهم إلى الإسلام فإن لم يقبلوا فالجزية ، فإن لم يقبلوا استباح دماءهم ونساءهم وأموالهم والله تعالى يمكّن له ويفتح عليه الأرض أرضاً بعد أرض وحتى بلغت رسالته مشارق الأرض ومغاربها ، فهذا تصديق من الله بالفعل ، كذلك ما يجريه الله على يديه من الآيات هو تصديق له سواء كانت الآيات شرعية أم كونية ، فالشرعية كان دائماً يُسأل عن الشيء وهو لا يعلمه فينزل الله الجواب : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]. ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ

عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. فالجواب في الآية الأولى ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وفي الثانية ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ فهذا تصديق من الله عز وجل .

والآيات الكونية ظاهرة جداً وما أكثر الآيات الكونية التي أيد الله بها رسوله سواء جاءت لسبب أو لغير سبب وهذا معروف في السيرة[1] .

الفائدة التاسعة عشر

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]. جمع الله في هذه الآية بين التنزيه عن العيوب بالتسبيح ، وإثبات الكمال بالحمد .

الفائدة العشرون

الصفات قسمان:

أ - **صفات مثبتة** : وهي الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه ، وكلها صفات كمال ، وليس فيها نقص بوجه من الوجوه ، ومن كمالها لا يمكن أن يكون ما أثبته دالًّا على التمثيل؛ لأن المماثلة للمخلوق نقص. وأهل الضلال زعموا أن الصفات المثبتة تستلزم التمثيل ثم أخذوا ينفونها فراراً من التمثيل.

ب - **صفات منفية** : وهي صفات منفية عن الله عز وجل وهي كثيرة

---

(١) ومن أمثلة الآيات الكونية (انشقاق القمر – تكثير الطعام – الإسراء والمعراج – نبع الماء من بين أصابعه).

ولكن الإثبات أكثر لأن صفات الإثبات كلها صفات كمال وكلما تعددت وتنوعت ظهر من كمال الموصوف ما هو أكثر، وصفات النفي قليلة ، ولهذا نجد أن صفات النفي تأتي كثيراً عامة مثل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والمخصص بصفة معينة لا يكون إلا لسبب مثل تكذيب المدعين بأن الله اتصف بهذه الصفة التي نفاها عن نفسه أو دفع توهم هذه الصفة التي نفاها كقوله ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

الفائدة الواحدة والعشرون

لإثبات صفات الله تعالى وتبارك طرق منها :

أولاً : دلالة الأسماء على الصفات، فكل اسم متضمن لصفة.

ثانياً: أن يُنص على الصفة مثل الوجه، واليدين، والعينين، وما أشبه ذلك، فهذه بنص من الله عز وجل ومثل الانتقام فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧] . وليس من أسماء الله المنتقم.

ثالثاً : أن تؤخذ من الفعل ، مثل المتكلم فنأخذها من ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

فهذه هي الطرق التي تثبت بها الصفة، وبناء على ذلك نقول: الصفات أعم من الأسماء؛ لأن كل اسم يتضمن لصفة وليس كل صفة متضمنة لاسم.

الفائدة الثانية والعشرون

كل فضل وإحسان من الله عز وجل على عباده فهو نعمة، وكل ما بنا من نعمة فهو من الله ، ونعم الله قسمان : عامة وخاصة ، والخاصة أيضاً قسمان : خاصة أخص ، وخاصة أعم .

فالعامة هي التي تكون للمؤمنين وغير المؤمنين .

والنعمة الخاصة: ما تصلح به الأديان من الإيمان والعلم والعمل الصالح فهذه خاصة بالمؤمنين وهي عامة للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ونعمة الله على النبيين والرسل نعمة هي أخص النعم ، واستمع إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] . فهذه النعمة التي هي أخص لا يلحق المؤمنون فيها النبيين بل هم دونهم .

الفائدة الثالثة والعشرون

الصديق: من صدق في معتقده وإخلاصه وإرادته وفي أقواله وأفعاله ولا يتم إلا بالصدق والتصديق . قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]. وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد: ١٩] .

الصدق في العقيدة: الإخلاص وهو أصعب ما يكون على المرء، قال

بعض السلف : ما جاهدت نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص .

الصدق في المقال: أن لا يقول إلا ما طابق الواقع سواء على نفسه أو على غيره .

الصدق بالفعال : هو أن تكون أفعاله مطابقة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ومن صدق الفعال أن تكون نابعة عن إخلاص .

وأفضل الصديقين على الإطلاق أبو بكر رضي الله عنه ، والصديقيّة مرتبة تكون للرجال والنساء قال تعالى في عيسى بن مريم ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥]. ويقال لأم المؤمنين عائشة بنت أبو بكر رضي الله عنهما "الصديقة بنت الصديق".

الفائدة الرابعة والعشرون

الشهداء : قيل أنهم الذين قتلوا في سبيل الله لقوله تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ وقيل العلماء لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨] . فجعل أهل العلم شاهدين بما شهد الله لنفسه، ولأن العلماء يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الأمة بالتبليغ، فيكون المعنى شاملاً للذين قتلوا في سبيل الله وللعلماء الذين شهدوا لله بالوحدانية وشهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ وشهدوا على الأمة بأنها بُلّغت.

الفائدة الخامسة والعشرون

الصالحون: هم الذين قاموا بحق الله وحق عباده ، لكن لا على مرتبة الأنبياء والصديقين والشهداء فالصالحون دونهم في المرتبة.

والصالحون يشمل كل الأنواع الثلاثة السابقة ومن دونهم في المرتبة ، فالأنبياء صالحون، والصديقون صالحون ، والشهداء صالحون.

الفائدة السادسة والعشرون

إخلاص الشيء بمعنى تنقيته، وسميت سورة الإخلاص بذلك لأنها تضمنت الإخلاص لله عز وجل، وأن من آمن بها فهو مُخلص فتكون بمعنى مُخلِّصة لقارئها ، وقيل بأنها مُخلَصَه – بفتح اللام – لأن الله تعالى أخلصها لنفسه ، فلم يذكر فيها شيئاً من الأحكام ولا شيء من الأخبار عن غيره ، بل هي أخبار خاصة بالله تعالى .

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الأجزاء، ووجه أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لأن مباحث القرآن خبر عن الله تعالى، وخبر عن المخلوقات كالأخبار عن الأمم السابقة والأخبار عن الحوادث الحاضرة وعن الحوادث المستقبلية، وقسم ثالث أحكام مثل أقيموا، آتوا، لا تشركوا، وما أشبه ذلك فكانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن لأنها أخبرت عن الله تعالى.

الفائدة السابعة والعشرون

القيوم : هو القائم على غيره ، وإذا كان قائماً على غيره لزم أن يكون غيره قائماً به قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم: ٢٥] . فهو إذاً كامل الصفات وكامل الملك والأفعال تبارك وتعالى.

الفائدة الثامنة والعشرون

الكرسي : أكبر من السموات والأرض قال تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. يعني أن كرسيه محيط بالسموات والأرض وأكبر منها لأنه لولا أنه أكبر ما وسعها ، والكرسي قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((أنه موضع قدمي الله عز وجل)) [1] وليس هو العرش بل العرش أكبر من الكرسي ، وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام ((**أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة**)) [2] .

---

(١) رواه ابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨) ، والحاكم في المستدرك (٢-٢٨٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، قال الألباني في مختصر العلو(٤٥): إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في كتاب " العرش " رقم (٥٨) ، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٩) وقال : إنه لا يصح حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة العرش إلا هذا الحديث .

وهذا يدل على عظم هذه المخلوقات، وعظم المخلوق يدل على عظم الخالق.

الفائدة التاسعة والعشرون

عرّف بعض العلماء التوكل على الله بأنه صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به سبحانه وتعالى وفعل الأسباب الصحيحة.

وصدق الاعتماد هو أن يعتمد على الله اعتماداً صادقاً بحيث لا تسأل إلا الله، ولا تستعين إلا بالله ، ولا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا الله ، تعتمد على الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار ، ولا يكفي هذا الاعتماد دون الثقة به وفعل السبب الذي أذن به ، بحيث إنك واثق بدون تردد مع فعل السبب الذي أذن فيه.

الفائدة الثلاثون

اشتملت الآية (٣) من سورة التحريم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ على اسمين: العليم والخبير ومن الصفات على "العلم" و"الخبرة".

والخبير : هو العليم ببواطن الأمور فيكون وصفاً أخص بعد وصف أعم ، فنقول: العليم بظواهر الأمور، والخبير ببواطن الأمور، فيكون العلم بالبواطن مذكور مرتين مرة بطريقة العموم ومرة بطريقة الخصوص؛ لئلا يظن أن علمه مختص بالظواهر .

الفائدة الواحدة والثلاثون

مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله خمسة هي: "علم الساعة، وتنزيل الغيث، وعلم ما في الأرحام، وعلم ما في الغد، وعلم مكان الموت" وهذه المفاتيح فسرها أعلم الخلق بكلام الخالق محمد صلى الله عليه وسلم حين قرأ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] .

فهذه الخمسة هي مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وسميت مفاتيح الغيب؛ لأن علم الساعة مفتاح للحياة الآخرة ، ونزول المطر مفتاح لحياة الأرض بالنبات وحياة النبات يكون الخير في المرعى وجميع ما يتعلق بمصالح العباد، وعلم ما في الأرحام مفتاح للحياة الدنيا، ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ مفتاح للعمل المستقبل ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ مفتاح لحياة الآخرة ، فتبين من ذلك أن هذه المفاتيح كلها مبادئ لكل ما وراءها .

الفائدة الثانية والثلاثون

الجنة - بفتح الجيم - : هي البستان كثير الأشجار ، سميت بذلك لأن من فيها مستتر بأشجارها وغصونها فهو مستجن فيها ، وهذه المادة "

الجيم والنون " تدل على الاستتار ، ومنه الجُنة – بضم الجيم – التي يتترس بها الإنسان عند القتال ، ومنها الجِنة – بكسر الجيم– يعني الجن لأنهم مستترون .

الفائدة الثالثة والثلاثون

تنقسم الإرادة إلى قسمين :-

القسم الأول: إرادة كونية: وهذه الإرادة مرادفة تماماً للمشيئة فـ(أراد) فيها بمعنى شاء، وهذه الإرادة تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه ، وعلى هذا إذا قال قائل : هل أراد الله الكفر ؟ فنقول بالإرادة الكونية نعم أراده ولو لم يرده الله عز وجل ما وقع. ويلزم من الإرادة الكونية وقوع المراد ، بمعنى أن ما أراده الله فلابد أن يقع ولا يمكن أن يتخلف .

القسم الثاني: إرادة شرعية: وهي مرادفة للمحبة، فـ(أراد) فيها بمعنى (أحب) فهي تختص بما يحبه الله، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية، ولا يلزم في الإرادة الشرعية من وقوع المراد بمعنى أن الله يريد شيئاً ولا يقع، فهو سبحانه يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لا يعبدونه بخلاف الإرادة الكونية.

الفائدة الرابعة والثلاثون

أخطأ على دين الإسلام من قال أن دين الإسلام دين المساواة ! لأن المساواة قد تقتضي المساواة بين شيئين الحكمة تقتضي التفريق بينهما .

بل الإسلام دين العدل، وهو الجمع بين المتساوين والتفريق بين المفترقين ولهذا لم يأت في القرآن أبداً أن الله يأمر بالتسوية لكن جاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] وكان أكثر ما جاء في القرآن نفي المساواة ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ ﴾ [الحديد: ١٠]، ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٩٥].

ولم يأت حرف واحد في القرآن يأمر بالمساواة أبداً ، إنما يأمر بالعدل .

الفائدة الخامسة والثلاثون

الخُلّة : أعلى أنواع المحبة ، والخليل هو الذي وصل حبه إلى سويداء القلب وتخلل مجاري عروقه ، وليس فوق الخلة شيء من أنواع المحبة أبداً ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يحب أصحابه كلهم ، لكن ما اتخذ واحداً منهم خليلاً أبداً ، قال صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس ((**لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر**))[1] إذاً أبو بكر هو أحب الناس إليه لكنه لم

(١) رواه البخاري (٢٣٥٦) ، ومسلم (٢٣٨٣) .

يصل إلى درجة الخلة ، وأما الخلة فهي بينه وبين ربه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلًا**))[١].

والخُلّة لا نعلم أنها تثبت لأحد من البشر إلا لاثنين هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلًا**)) .

وهذه الخلة صفة من صفات الله عز وجل لأنها أعلى أنواع المحبة وهي توقيفية فلا يجوز أن نثبت لأحد من البشر إنه خليل إلا بدليل حتى أنبياء الله عليهم السلام إلا لهذين الرسولين الكريمين عليهما الصلاة والسلام فهما خليلان لله عز وجل.

الفائدة السادسة والثلاثون

أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى صفة المجيء والإتيان فهو سبحانه يأتي بنفسه هو، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢١ – ٢٢]. وقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] . وقال عز من قائل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

---

(١) رواه مسلم (٥٣٢) عن جندب بن عبد الله – رضي الله عنه – .

فهم – أي أهل السنة والجماعة – يثبتون ذلك لأنه سبحانه ذكر ذلك عن نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً من غيره ، وأحسن حديثاً ، فكلامه مشتمل على أكمل العلم والصدق والبيان والإرادة ، فالله تعالى يريد أن يبين لنا الحق وهو أعلم وأصدق وأحسن حديثاً .

لكن يبقى السؤال : هل نعلم كيفية هذا المجيء؟

الجواب: لا نعلمه لأنه الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه يجيء ولم يخبرنا كيف المجيء، ولأن الكيفية لا تُعلم إلا بالمشاهدة ، أو مشاهدة النظير أو الخبر الصادق عنها، وكل هذا لا يوجد في صفات الله تعالى ، ولأنه إذا جُهلت الذات جُهلت الصفات أي كيفيتها ، فالذات موجودة وحقيقية ونعرفها ونعرف ما معنى الذات وما معنى النفس وكذلك نعرف ما معنى المجيء لكن كيفية الذات أو النفس وكيفية المجيء غير معلوم لنا ، فنؤمن بأن الله يأتي حقيقة وعلى كيفية تليق به مجهولة لنا .

الفائدة السابعة والثلاثون

من عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات الوجه لله تعالى ويأخذون ذلك من قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧] . ونقول بأن هذا الوجه لا يماثل أوجه المخلوقين لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. ونجهل كيفية هذا الوجه لقوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]. ولابد أن يعلم بأن هذا الوجه

العظيم الموصوف بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً، ولا يمكن الإحاطة به تصوراً بل كل شيء تقدره فإن الله تعالى فوق ذلك وأعظم لقوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠].

فإن حاول أحد أن يتصور هذه الكيفية بقلبه أو أن يتحدث عنها بلسانه قلنا : إنك مبتدع ضال ، قائل على الله ما لا تعلم ، وقد حرّم الله علينا أن نقول عليه ما لا نعلم ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

الفائدة الثامنة والثلاثون

قال العلماء في تفسير المكر: إنه التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم ، يعني أن تفعل أسباباً خفية فتوقع بخصمك وهو لا يحس ولا يدري لكنها لك معلومة مدبرة .

والمكر يكون في موضع مدحاً ويكون في موضع ذمًّا، فإن كان في مقابله من يمكر فهو مدح ، لأنه يقتضي أنك أقوى منه ، وإن كان في غير ذلك فهو ذم ويسمى خيانة.

ولهذا لم يصف الله نفسه به إلا على سبيل المقابلة والتقييد كما قال تعالى ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] ولا يوصف الله

به على الإطلاق فلا يقال إن الله ماكر! لا على سبيل الخبر ولا على سبيل التسمية ، لأن هذا المعنى يكون مدحاً في حال فلا يمكن أن نصف الله به على الإطلاق .

الفائدة التاسعة والثلاثون

ذكر أهل العلم أن العزة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : عزة القدر ، عزة القهر، وعزة الامتناع .

- فعزة **القدر**: معناها أن الله تعالى ذو قدر عزيز، أي لا نظير له تعالى.

- وعزة **القهر**: هي عزة الغلبة ، أي أنه غالب كل شيء ، قاهر كل شيء ومنه قوله تعالى ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣] يعني غلبني في الخطاب فالله سبحانه عزيز لا غالب له بل هو غالب كل شيء.

- وعزة **الامتناع**: هي أن الله تعالى يمتنع أن يناله سوء أو نقص، فهو مأخوذ من القوة والصلابة، ومنه قولهم أرض عزاز يعني قوية شديدة.

ومعاني العزة هذه هي التي أثبتها الله تعالى لنفسه وهي تدل على كمال قهره وسلطانه، وعلى كمال صفاته وعلى تمام تنزهه عن النقص.

تدل على كمال قهره وسلطانه في عزة القهر، وتدل على تمام صفاته وكمالها وأنها لا مثيل لها في عزة القدر ، وتدل على تمام تنزهه عن العيب والنقص في عزة الامتناع .

الفائدة الأربعون

كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في السفر أنهم يكبرون كلما علوا مرتفعاً ، لأن الإنسان إذا علا في مكانه قد يشعر في قلبه أنه متعالٍ على غيره ، فيقول " الله أكبر " من أجل أن يخفف تلك العلياء التي شعر بها حين علا وارتفع .

وكانوا إذا هبطوا قالوا "سبحان الله"؛ لأن النزول سفول ، فيقولون "سبحان الله " أي: أنزهه عن السفول الذي أنا الآن فيه .

الفائدة الواحدة والأربعون

العرش : هو السقف المحيط بالمخلوقات ولا نعلم مادة هذا العرش لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح يبين من أين خلق هذا العرش ، لكننا نعلم أنه أكبر المخلوقات التي نعرفها .

وأصل العرش في اللغة : السرير الذي يختص به الملك ، ومعلوم أن السرير الذي يختص به الملك سيكون سريراً عظيماً فخماً لا نظير له.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ولا يماثل استواء المخلوقين.

ومعنى الاستواء عندهم هو : العلو والاستقرار .

الفائدة الثانية والأربعون

فسر أهل التعطيل الاستواء على العرش بالاستيلاء فقالوا معنى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني أنه استولى عليه.

وهذا القول يلزم عليه لوازم باطلة:

١ - يلزم أن يكون الله عز وجل حين خلق السموات والأرض ليس مستولياً على عرشه لأن الله يقول ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وثم تفيد الترتيب فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السموات والأرض لغير الله .

٢- أن الغالب من كلمة " استولى " أنها لا تكون إلا بعد مغالبة ولا أحد يغالب الله .

أين المفر والإله الطالبُ
والأشرم المغلوب ليس الغالب

٣- من اللوازم الباطلة أن يصح أن نقول: إن الله استوى على الأرض والشجر والجبال ، لأنه مستول عليها.

وهذه اللوازم باطلة ، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملـزوم .

الفائدة الثالثة والأربعون

إذا قلنا إن الله استوى على العرش بمعنى علا ، فهناك يرد سؤال وهو: أن الله خلق السموات ثم استوى على العرش ، فهل يستلزم أنه قبل

ذلك ليس عالياً ؟

والجواب : أنه لا يستلزم ذلك ، لأن الاستواء على العرش أخص من مطلق العلو ، لأن الاستواء على العرش علو خاص به ، والعلو شامل على جميع المخلوقات فعلوه عز وجل ثابت له أزلاً وأبداً ، فهو لم يزل عالياً على كل شيء قبل أن يخلق العرش ولا يلزم من عدم استوائه على العرش عدم علوه بل هو عال ، ثم بعد خلق السموات والأرض علا علوًّا خاصًّا على العرش.

فإن قيل : نفهم من الآية الكريمة أنه حين خلق السموات والأرض ليس مستوياً على العرش لكن قبل خلق السموات والأرض هل هو مستوٍ على العرش أو لا ؟

فالجواب : الله أعلم بذلك .

فإن قيل : هل استواء الله على عرشه من الصفات الفعلية أو الذاتية ؟

فالجواب : أنه من الصفات الفعلية ، لأنه يتعلق بمشيئته وكل صفة تتعلق بمشيئته فهي من الصفات الفعلية .

الفائدة الرابعة والأربعون

علو الله عز وجل ينقسم إلى علو معنوي وعلو ذاتي :

١ - أما العلو المعنوي فهو ثابت لله بإجماع أهل القبلة ، أي أهل السنة وأهل البدع كلهم يؤمنون بأن الله تعالى عالٍ علوًّا معنويًّا .

٢- وأما العلو الذاتي: فيثبته أهل السنة ولا يثبته أهل البدعة ، يقولون بأن الله تعالى ليس عالياً علواً ذاتياً .

وأهل السنة أثبتوا علو الله تعالى علوًّا ذاتيًّا بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

أولاً : فالكتاب تنوعت دلالته على علو الله فتارة بذكر العلو وتارة بذكر الفوقية وتارة بنزول الأشياء من عنده وتارة بذكر صعودها إليه وتارة بكونه في السماء.

١- فالعلو مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] .

٢- والفوقية ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] .

٣- ونزول الأشياء منه ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥] ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

٤- وصعود الأشياء إليه مثل قوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤].

٥- كونه في السماء مثل قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الملك: ١٦] .

ثانياً : وأما السنة فقد تواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وإقراره .

١- فأما قوله صلى الله عليه وسلم ((**سبحان ربي الأعلى**))[١] وقوله ((**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**))[٢] .

٢- وأما الفعل فمثال رفع إصبعه إلى السماء وهو يخطب في يوم عرفة، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**ألا هل بلغت**)) قالوا: نعم، ((**ألا هل بلغت**)) قالوا: نعم، ((**ألا هل بلغت**)) قالوا: نعم، وكان يقول: ((**اللهم اشهد**)) يشير إلى السماء بإصبعه وينكتها إلى الناس[٣] .

٣- وأما التقرير فإنه في حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه أتى بجارية يريد أن يعتقها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ((**أين الله**)) قالت: في السماء فقال: ((**من أنا ؟**)) قالت: رسول الله ، قال ((**أعتقها فإنها مؤمنة**))[٤] .

---

(١) رواه مسلم (٧٧٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن خزيمة في كتاب " التوحيد " (١-٢٤٤) وقال الذهبي في العلو : إسناده صحيح. (مختصر العلو) برقم (٤٨) .

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله الطويل في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) رواه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي .

ثالثاً : وأما دلالة الإجماع فقد أجمع السلف على أن الله تعالى بذاته في السماء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وإن قال قائل: كيف أجمعوا ؟

نقول: إمرارهم هذه الآيات والأحاديث مع تكرار العلو فيها والفوقيه ونزول الأشياء منه وصعودها إليه دون أن يأتوا بما يخالفها إجماع منهم على مدلولها.

ولهذا قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "إن السلف مجمعون على ذلك" وقال: "ولم يقل أحد منهم بأن الله ليس في السماء أو أن الله في الأرض ، أو أن الله لا داخل العالم، ولا خارج، ولا متصل ولا منفصل، أو أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه " .

رابعاً: وأما دلالة العقل : فنقول لاشك أن الله عز وجل إما أن يكون في العلو أو في السفل ، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته فلا يكون له العلو التام والسيطرة التامة والسلطان التام ، فإذا كان السفل مستحيلًا كان العلو واجباً .

خامساً : وأما دلالة الفطرة : فكل إنسان مفطور على أن الله في السماء ولهذا عندما يفجؤك الشيء الذي لا تستطيع دفعه إنما تتوجه إلى الله تعالى بدفعه ، فإن قلبك ينصرف إلى السماء حتى الذين ينكرون علو الذات لا يقدرون أن ينزلوا أيديهم إلى الأرض وهذه الفطرة لا يمكن إنكارها

الفائدة الخامسة والأربعون

قد يرد إشكال عند بعض الناس عند قراءة قوله تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] ، وهو أن (في) للظرفية فإذا كان الله في السماء و(في) للظرفية ، فإن الظرف محيط بالمظروف أرأيت لو قلت الماء في الكأس، فالكأس محيط بالماء وأوسع من الماء فإذا كان الله يقول ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فهذا ظاهره أن السماء محيطة بالله ، وهذا الظاهر باطل وإذا كان الظاهر باطل فإننا نعلم علم اليقين أنه غير مراد لله ، لأنه لا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسنة باطلاً.

والجواب على هذا الإشكال؟

١- السماء في اللغة بمعنى العلو ، بل في القرآن قال تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧] والمراد بالسماء العلو، لأن الماء ينزل من السحاب لا من السماء التي هي السقف المحفوظ، والسحاب في العلو بين السماء والأرض قال تعالى ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] . فيكون معنى ﴿ مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي من في العلو .

٢- في اللغة العربية تأتي (في) بمعنى على ، بل في القرآن الكريم ، قال فرعون لقومه السحرة الذين آمنوا ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾

[طه: ٧١] . أي على جذوع النخل ، فيكون من في السماء أي من على السماء، ولا إشكال بعد هذا .

الفائدة السادسة والأربعون

نظر أهل الجنة ليس كنظر أهل الدنيا ، ففي الجنة ينظر الإنسان في ملكه مسيرة ألفي عام ، ينظر أقصاه كما ينظر أدناه من كمال النعيم؛ لأن الإنسان لو كان نظره كنظره في الدنيا ما استمتع بنعيم الجنة ، لأنه ينظر إلى مدى قريب فيخفى عليه شيء كثير منه .

الفائدة السابعة والأربعون

كل الدنيا ليست بشيء لأن النظر إلى الله تعالى هو الثمرة التي يتسابق فيها المتسابقون ويسعى إليها الساعون وهي غاية المرام من كل شيء .

فإذا علمنا هذا هل نسعى إلى الوصول إلى ذلك أم لا ؟

فالجواب : نعم نسعى للوصول إلى ذلك بدون تردد ، وإنكار الرؤية حقيقةً حرمان عظيم ، لكن الإيمان بها يسوق الإنسان سوقاً عظيماً إلى الوصول إلى هذه الغاية .

الفائدة الثامنة والأربعون

السنة هي المصدر الثاني للتشريع ومعنى قولنا المصدر الثاني : يعني في العدد ، وليس في الترتيب ، فإن منزلتها إذا صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم كمنزلة القرآن تماماً في تصديق الخبر والعمل بالحكم .

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، يقول: لا ندري! ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه**))(١).

والسنة مقامها مع القرآن على أربعة أنواع: تفسير مُشكل، تبيين مُجمل، ودلالةٍ عليه، وتعبيرٍ عنه .

الفائدة التاسعة والأربعون

موقف أهل الأهواء والبدع تجاه الأحاديث المخالفة لأهوائهم يدور على أمرين: إما التكذيب وإما التحريف.

فإن كان يمكنهم تكذيبه كذبوه ، كقولهم في القاعدة الباطلة : أخبار الآحاد لا تقبل في العقيدة !!

وقد رد ابن القيم – رحمه الله – هذه القاعدة وأبطلها بأدلة كثيرة في آخر "مختصر الصواعق" .

وإن كان لا يمكنهم تكذيبه حرفوه ، كما حرفوا نصوص القرآن .

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني

الفائدة الخمسون

علماء أهل السنة لهم في خلو العرش من عدمه عند نزول الرب سبحانه وتعالى ثلاثة أقوال :

* شيخ الإسلام – رحمه الله – في " الرسالة العرشية " يقول: إنه لا يخلو منه العرش؛ لأن أدلة استوائه على العرش محكمة ، وحديث النزول محكم ، والله عز وجل لا تقاس صفاته بصفات الخلق ، فيجب علينا أن نبقي نصوص الاستواء على إحكامها ، ونص النزول على إحكامه ، ونقول هو مستوٍ على عرشه ، نازل إلى السماء الدنيا ، والله أعلم بكيفية ذلك وعقولنا أقصر وأدنى وأحقر من أن تحيط بالله عز وجل .

القول الثاني: التوقف، يقولون: لا نقول: يخلو، ولا نقول : لا يخلو .

القول الثالث: أنه يخلو منه العرش .

وهنا قد يرد إشكال عند بعض الناس وهو أن المتأخرين الذين عرفوا أن الأرض كروية وأن الشمس تدور على الأرض أوردوا إشكالاً ، قالوا : كيف ينزل في ثلث الليل الآخر؟ وثلث الليل الآخر إذا انتقل من المملكة العربية السعودية ؟ ذهب إلى أوروبا وما قاربها ؟! أفيكون نازلاً دائماً ؟!!

فنقول: آمن أولًا بأن الله ينزل في هذا الوقت المعين ، وإذا آمنت ليس عليك شيء وراء ذلك، لا تقل كيف ؟! وكيف ؟! بل قل : إذا كان ثلث الليل الآخر في السعودية ، فالله نازل وإذا كان في أمريكا ثلث الليل يكون

نزول الله أيضاً ، وإذا طلع الفجر انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه .

الفائدة الواحدة والخمسون

الفرح بالنسبة للإنسان هو نشوة وخفة يجدها الإنسان من نفسه عند حصول ما يسره ولهذا تشعر بأنك إذا فرحت بالشيء كأنك تمشي على الهواء، لكن بالنسبة لله عز وجل لا نفسر الفرح بمثل ما نعرفه من أنفسنا ، بل نقول: هو فرح يليق به عز وجل مثل بقية الصفات، كما أننا نقول لله ذات ، ولكن لا تماثل ذواتنا ، فله صفات لا تماثل صفاتنا ، لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات .

الفائدة الثانية والخمسون

شروط التوبة :-

الأول: الإخلاص لله عز وجل بأن لا يحملك على التوبة مراءاة الناس أو نيل الجاه عندهم أو ما أشبه ذلك من مقاصد الدنيا.

الثاني: الندم على المعصية .

الثالث: الإقلاع عنها، ومن الإقلاع إذا كانت التوبة في حق من حقوق الآدميين: أن ترد الحق إلى صاحبه .

الرابع: العزم على أن لا تعود في المستقبل .

الخامس: أن تكون التوبة في وقت القبول، وينقطع قبول التوبة بالنسبة لعموم الناس بطلوع الشمس من مغربها وبالنسبة لكل واحد بحضور أجله.

الفائدة الثالثة والخمسون

العجب: هو استغراب الشيء ويكون لسببين :-

الأول: خفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه، بحيث يأتيه بغتة بدون توقع ، وهذا مستحيل على الله عز وجل. لأن الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

الثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعما ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب ، بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله .

وهذا ثابت لله تعالى؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجب ولكن عجب بالنظر إلى حال المتعجب منه .

الفائدة الرابعة والخمسون

القنوط من رحمة الله تعالى من الكبائر ، قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] .

فالقنوط من رحمة الله واستبعاد الرحمة من كبائر الذنوب، والواجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه إن دعاه أحسن الظن بأنه سيجيبه، وإن تعبد له بمقتضى شرعه فليحسن الظن بأن الله سوف يقبل منه، وإن وقعت

به شدة فليحسن الظن بأن الله سوف يزيلها.

الفائدة الخامسة والخمسون

الرجل والقدم:

الرجل والقدم معناهما واحد، وسميت رجل الإنسان قدماً، لأنها تتقدم في المشي، فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدمها.

الفائدة السادسة والخمسون

الحوب والخطايا:

الحوب: كبائر الإثم، والخطايا: صغائره، هذا إذا جمع بينهن كما في حديث رُقية المريض[١] وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: **"اغفر لنا حوبنا وخطايانا"** أما إذا افترقا فهما بمعنى واحد، يعني: اغفر لنا كبائر الإثم وصغائره.

الفائدة السابعة والخمسون

الرحمة نوعان:

- رحمة هي صفة الله، فهذه غير مخلوقه وغير بائنة من الله عز وجل مثل قوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ولا يطلب نزولها.

- ورحمة مخلوقة: لكنها أثر من آثار رحمة الله فأطلق عليها الرحمة مثل قوله تعالى في الحديث القدسي عن الجنة: **"أنت رحمتي أرحم بك من أشاء"**[٢].

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الفائدة الثامنة والخمسون

جاء في السنة بأن الله تبارك وتعالى أمام وجه المصلي ، فكيف يجمع بين هذا القول والقول بأن الله عز وجل في السماء؟

الجواب: يجب أن نعلم أن الذي قال إنه أمام وجه المصلي هو الذي قال: إنه في السماء، ولا تناقض في كلامه هذا وهذا ، ويمكن الجمع في ذلك من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : أن الشرع جمع بينهما ، ولا يجمع بين متناقضين .

الوجه الثاني : أنه يمكن أن يكون الشيء عالياً ، وهو قبل وجهك، فها هو الرجل يستقبل الشمس أول النهار فتكون أمامه وهي في السماء ، فإذا كان هذا ممكناً في المخلوق ، ففي الخالق من باب أولى بلا شك .

الوجه الثالث : هو أن هذا إذا كان ممتنعاً في المخلوق ، فإنه لا يمتنع في الخالق ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته .

الفائدة التاسعة والخمسون

النفس نفسان :

- نفس **مطمئنة** طيبة تأمر بالخير .
- ونفس **شريرة** أمارة بالسوء .

والنفس **اللوامة** ، هل هي ثالثة أو وصف للثنتين السابقتين ؟

فيه خلاف: بعضهم يقول: إنها نفس ثالثة ، وبعضهم يقول: هي

وصف للثنتين السابقتين. فالمطمئنة : تلومك على التقصير في الواجب ، إذا أهملت واجباً لامتك ، وإذا فعلت محرماً لامتك .

والأمارة بالسوء: بالعكس ، إذا فعلت الخير لامتك وتلومك إذا فوت ما تأمرك به من السّوء .

إذاً صارت اللوامة على القول الراجح وصفاً للنفسين معا .

الفائدة الستون

الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط بين الأمم السابقة وذلك من عدة أوجه :

* **ففي حق الله تعالى**: كانت اليهود تصف الله بالنقائص فتلحقه بالمخلوق، وكانت النصارى تُلحق المخلوق الناقص بالرب الكامل، أما هذه الأمة فلم تصف الرب بالنقائص ، ولم تلحق المخلوق به.

* **وفي حق الأنبياء**: كذبت اليهود عيسى بن مريم وكفرت به وغلت النصارى فيه حتى جعلته إلهاً ، أما هذه الأمة فآمنت به دون غلو وقالت هو عبد الله ورسوله.

* **وفي العبادات**: النصارى يدينون لله عز وجل بعدم الطهارة بمعنى أنهم لا يتطهرون من الخبث ، يبول الواحد منهم ويصيب البول ثيابه ويقوم ويصلي في الكنيسة!! واليهود بالعكس إذا أصابتهم النجاسة فإنهم يقرضونها من الثوب، فلا يطهرها الماء عندهم، حتى إنهم يبتعدون عن الحائض لا

يؤاكلونها ولا يجتمعون بها، أما هذه الأمة ، فهم وسط فيقولون لا هذا ولا هذا، لا يشق الثوب، ولا يصلى بالنجاسة، بل يغسل غسلاً حتى تزول النجاسة منه، ويصلى به، ولا يبتعدون عن الحائض، بل يؤاكلونها ويباشرها زوجها في غير الجماع.

* وكذلك أيضاً في باب المحرمات من المآكل والمشارب ، النصارى استحلوا الخبائث وجميع المحرمات واليهود حُرّم عليهم كل ذي ظفر كما قال تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] .

أما هذه الأمة فهم وسط أُحلت لهم الطيبات وحرمت عليهم الخبائث.

* **وفي القصاص:** القصاص فرض على اليهود، والتسامح عن القصاص فرض على النصارى، أما هذه الأمة فهي مخيرة بين القصاص والدية والعفو مجاناً .

فكانت الأمة الإسلامية وسطاً بين الأمم بين الغلو والتقصير .

الفائدة الواحدة والستون

أهل السنة والجماعة وسط بين المعطلة والمشبهة :-

* **فالجهمية:** ينكرون صفات الله عز وجل ، بل غلاتهم ينكرون

الأسماء ويقولون: لا يجوز أن نثبت لله اسماً ولا صفة؛ لأنك إذا أثبت له اسماً شبهته بالمسميات ، أو صفة شبهته بالموصوفات !! .

إذاً لا نثبت اسماً ولا صفة !! وما أضاف الله إلى نفسه من الأسماء فهو من باب المجاز وليس من باب التسمي بهذه الأسماء !!

والمعتزلة : ينكرون الصفات ويثبتون الأسماء .

والأشاعرة : يثبتون الأسماء وسبعاً من الصفات [1] .

كل هؤلاء يشملهم اسم التعطيل لكن بعضهم معطل تعطيلاً كاملاً كالجهمية ، وبعضهم تعطيلاً نسبيًّا مثل المعتزلة ، والأشاعرة .

أما أهل التمثيل المشبهة، فيثبتون لله الصفات ويقولون يجب أن نثبت لله الصفات، لأنه أثبتها لنفسه، لكن يقولون: أنها مثل صفات المخلوقين.

أما أهل السنة والجماعة فهم وسط في باب الصفات بين طائفتين متطرفتين : طائفة غلت في التنزيه والنفي وهم أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم ، وطائفة غلت في الإثبات وهم الممثلة.

وأهل السنة والجماعة يقولون: لا نغلو في الإثبات ولا في النفي ونثبت بدون تمثيل لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] .

---

(١) الصفات التي يثبتها الأشاعرة هي (العلم، القدرة ،الإرادة ،الكلام ،الحياة ، السمع، البصر) .

الفائدة الثانية والستون

في باب القدر انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام :

قسم آمنوا بقدر الله عز وجل وغلوا في إثباته ، حتى سلبوا الإنسان قدرته واختياره وقالوا : إن الله فاعل كل شيء ، وليس للعبد اختيار ولا قدرة ، وإنما يفعل الفعل مجبراً عليه ، بل إن بعضهم ادعى أن فعل العبد هو فعل الله ، ولهذا دخل من بابهم أهل الاتحاد والحلول وهؤلاء هم الجبرية .

القسم الثاني قالوا: إن العبد مستقل بفعله ، وليس لله فيه مشيئة ولا تقدير ، حتى غلا بعضهم ، فقال : إن الله لا يعلم فعل العبد إلا إذا فعله، أما قبل فلا يعلم عنه شيئاً وهؤلاء هم القدرية ، مجوس هذه الأمة .

فالأولون غلوا في إثبات أفعال الله وقدره وقالوا : إن الله عز وجل يُجبر الإنسان على فعله وليس للإنسان اختيار .

والآخرون غلوا في إثبات قدرة العبد، وقالوا: إن القدرة الإلهية والمشيئة الإلهية لا علاقة لها في فعل العبد ، فهو الفاعل المطلق الاختيار .

والقسم الثالث: أهل السنة والجماعة قالوا : نحن نأخذ بالحق الذي مع الجانبين ، فنقول : إن فعل العبد واقع بمشيئة الله وخلق الله ، ولا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يشاؤه أبداً ، والإنسان له اختيار وإرادة ، ويفرق بين الفعل الذي يضطر إليه والفعل الذي يختاره ، فأفعال العباد باختيارهم وإرادتهم ، ومع ذلك فهي واقعة بمشيئة الله وخلقه .

الفائدة الثالثة والستون

انقسم الناس في باب وعيد الله إلى أقسام :-

فالمرجئة : يقولون : الأعمال ليست من الإيمان والإيمان هو الاعتراف بالقلب فقط .

ولهذا يقولون: إن فاعل الكبيرة؛ كالزاني والسارق وشارب الخمر وقاطع الطريق لا يستحق دخول النار لا دخولاً مؤبداً ولا مؤقتاً، فلا يضر مع الإيمان معصية، مهما كانت صغيرة أو كبيرة إذا لم تصل إلى حد الكفر .

وأما الوعيدية : فقابلوهم وغلّبوا جانب الوعيد وقالوا : أي كبيرة يفعلها الإنسان ولم يتب منها فإنه مخلد في النار بها ، إن سرق فهو من أهل النار خالداً مخلداً ، وإن شرب الخمر فهو في النار خالداً مخلداً ... وهكذا .

والوعيدية يشمل طائفتين: المعتزلة والخوارج .

وأهل السنة والجماعة أخذوا بهذا وهذا وقالوا : نصوص الوعيد محكمة فنأخذ بها، ونصوص الوعد محكمة فنأخذ بها ، فأخذوا من نصوص الوعد ما ردوا به على الوعيدية، ومن نصوص الوعيد ما ردوا به على المرجئة وقالوا : فاعل الكبيرة مستحق لدخول النار لئلا نهدر نصوص الوعيد ، غير مخلد فيها لئلا نهدر نصوص الوعد .

الفائدة الرابعة والستون

انقسم الناس في باب أسماء الإيمان والدين إلى أقسام :-

فالحرورية والمعتزلة أخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان، لكن الحرورية قالوا : إنه كافر يحل دمه وماله ، ولهذا خرجوا على الأئمة وكفروا الناس .

وأما المعتزلة : فقالوا : فاعل الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر ، فهو في منزلة بين منزلتين ، لا نتجاسر أن نقول إنه كافر ، وليس لنا أن نقول إنه مؤمن ، وهو يفعل الكبيرة يزني ويسرق ويشرب الخمر !.

وأما المرجئة الجهمية: فخالفوا هؤلاء وقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان يسرق ويزني ويشرب الخمر ويقتل النفس ويقطع الطريق ، ونقول له أنت مؤمن كامل الإيمان !! كرجل فعل الواجبات والمستحبات وتجنب المحرمات!! أنت وهو في الإيمان سواء !!! .

وأما أهل السنة والجماعة : فكانوا وسطاً بين هذه الطوائف فقالوا : نسمي المؤمن الذي يفعل الكبيرة مؤمناً ناقص الإيمان، أو نقول : مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وهذا هو العدل ، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يُسلب مطلق الاسم .

الفائدة الخامسة والستون

الرافضة: هم الذين يسمون اليوم : شيعة ، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – الذي ينتسب إليه الآن الزيدية. رفضوه لأنهم سألوه ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ يريدون منه أن يسبهما ويطعن فيهما ! لكنه رضي الله عنه قال : نعم الوزيران وزيرا جدي يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثنى عليهما فرفضوه وغضبوا عليه وتركوه! فسموا رافضة.

ومن أقبح أصول الرافضة : الإمامة التي تتضمن عصمة الإمام ، وأنه لا يقول خطأ ، وأن مقام الإمامة أرفع من مقام النبوة؛ لأن الإمام يتلقى عن الله مباشرة والنبي بواسطة الرسول وهو جبريل ، ولا يخطئ الإمام عندهم أبداً ، بل غلاتهم يّدعون أن الإمام يخلق ، يقول للشيء كن فيكون !!

وهم يقولون : إن الصحابة كفار ، وكلهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبو بكر وعمر عند بعضهم كانا كافرين وماتا على النفاق والعياذ بالله ، ولا يستثنون من الصحابة إلا آل البيت ونفراً قليلاً ممن قالوا : إنهم من أولياء آل البيت .

الفائدة السادسة والستون

معية الله تنقسم إلى عامة وخاصة وخاصة الخاصة .

فالعامة : تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر ومثالها قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] .

والخاصة: مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

والتي أخص: مثالها قوله تعالى لموسى وهارون ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] .

الفائدة السابعة والستون

جمع الله بين العلو والمعية في آية واحدة كما في قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] .

ففي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾ إثبات العلو. وفي قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ إثبات المعية. فجمع بينهما في آية واحدة ووجه

الجمع من وجوه ثلاثه:

الأول : أنه ذكر استواءه على العرش ، ثم قال﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وإذا جمع الله لنفسه بين وصفين، فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان، لأنها لو تناقضا لاستحال اجتماعهما، إذ المتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، فلابد من وجود أحدهما وانتفاء الثاني ، ولو كان هناك تناقض لزم أن يكون أول الآية مكذباً لآخرها أو بالعكس.

الثاني: أنه قد يجتمع العلو والمعية في المخلوقات كما في قول الناس: ما زلنا نسير والقمر معنا .

الثالث: لو فرض تعارضهما بالنسبة للمخلوق، لم يلزم ذلك بالنسبة للخالق، لأن الله ليس كمثله شيء.

الفائدة الثامنة والستون

كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالمبدأ والإيمان بالمعاد؛ لأن من لم يؤمن باليوم الآخر ، لا يمكن أن يؤمن بالله ، إذ أن الذي لا يؤمن باليوم الآخر لن يعمل ، لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر ، وما يخافه من العذاب والعقوبة ، فإذا كان لا يؤمن به صار كمن حكى الله عنهم ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] .

الفائدة التاسعة والستون

الإنسان له خمس مراحل :

١- **مرحلة العدم:** ودل عليه قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] .

٢- **مرحلة الحمل:** قال تعالى ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ [الزمر: ٦] .

٣- **مرحلة الدنيا:** قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

وهذه المراحل هي التي عليها مدار السعادة والشقاء وهي دار الامتحان والابتلاء كما قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢] .

٤- **مرحلة البرزخ:** قال تعالى ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

٥- **مرحلة الآخرة:** وهي غاية المراحل ونهاية الراحل، قال تعالى بعد ذكر المراحل ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦] .

الفائدة السبعون

أصناف الناس الذين لا يفتنون في قبورهم :ـ

١ – الأنبياء لا تشملهم الفتنة ولا يسألون وذلك لوجهين :

الأول : أن الأنبياء أفضل من الشهداء وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الشهيد يوقى فتنة القبر.

الثاني : أن الأنبياء يُسأل عنهم فيقال للميت: من نبيك؟ فهم مسؤول عنهم وليسوا مسؤولين .

٢– **الصديقون** : لا يسألون ، لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء فإذا كان الشهداء لا يسألون فالصديقون من باب أولى ، ولأن الصديق على وصفه مصدَّق وصادق ، فهو قد عُلم صدقه فلا حاجة إلى اختباره ، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يُسألون لعموم الأدلة والله أعلم .

٣– الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لا يسألون لظهور صدق إيمانهم بجهادهم وفي الحديث الصحيح " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة "[١] .

٤– المرابطون: لا يفتنون ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان**))[٢] .

---

(١) رواه النسائي (٤/ ٩٩) وصححه الألباني .

(٢) رواه مسلم (١٩١٣) عن سلمان رضي الله عنه .

٥- **الصغار والمجانين**: في فتنهم خلاف قال بعض العلماء: إنهم يفتنون لدخولهم في العموم، وقال بعض العلماء: لا يسألون لأنهم غير مكلفين وإذا كانوا غير مكلفين فإنه لا حساب عليهم.

الفائدة الواحدة والسبعون

العذاب في القبر أهون من عذاب يوم القيامة؛ لأن العذاب في القبر ليس فيه خزي وعار، لكن في الآخرة فيه الخزي والعار، لأن الأشهاد موجودون ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

الفائدة الثانية والسبعون

لو أن رجلاً تمزق أوصالاً ، وأكلته السباع وذرته الرياح ، فكيف يكون عذابه ، وكيف يكون سؤاله ؟!.

فالجواب: أن الله عز وجل على كل شيء قدير وهذا أمر غيبي ، فالله عز وجل قادر على أن يجمع هذه الأشياء في عالم الغيب، وإن كنا نشاهدها في الدنيا متمزقة متباعدة لكن في عالم الغيب ربما يجمعها الله. فانظر إلى الملائكة تنزل لقبض روح الإنسان في المكان نفسه كما قال تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٥] ومع ذلك لا نبصرهم.

وجبريل عليه السلام يتمثل أحياناً للرسول صلى الله عليه وسلم

ويكلمه بالوحي في نفس المكان والناس لا ينظرون ولا يسمعون .

فعالم الغيب لا يمكن أبداً أن يقاس بعالم الشهادة وليس في عالم الغيب إلا التسليم ولا يمكن فيه القياس إطلاقاً .

الفائدة الثالثة والسبعون

مسائل عن الحوض :-

أولاً : هذا الحوض موجود الآن لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب ذات يوم في أصحابه وقال: ((وإني والله **لأنظر إلى حوضي الآن**))[١] .

وأيضاً ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((**ومنبري على حوضي**))[٢] وهذا يحتمل أنه في هذا المكان ، لكن لا نشاهده لأنه غيبي، ويحتمل أن المنبر يوضع يوم القيامة على الحوض.

ثانياً : هذا الحوض يصب فيه ميزابان من الكوثر وهو النهر العظيم الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ينزلان إلى هذا الحوض .

ثالثاً : زمن الحوض قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات يوم القيامة قبل عبور الصراط .

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٠) ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – .

(٢) رواه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (١٣٩١) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

رابعاً : يرد هذا الحوض المؤمنون بالله ورسوله المتبعون لشريعته، وأما من استنكف واستكبر عن اتباع الشريعة فإنه يطرد منه.

خامساً : في كيفية مائه: فيقول المؤلف[1]: **"ماؤه أشد بياضاً من اللبن"** هذا في اللون، أما في الطعم ، فقال **"وأحلى من العسل"** وفي الرائحة **"أطيب من المسك"** كما ثبت به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

سادساً : في آنيته ، يقول المؤلف : آنيته عدد نجوم السماء ، هذا كما ورد في بعض ألفاظ الحديث ، وفي بعضها **"آنيته كنجوم السماء"** وهذا اللفظ أشمل، لأنه يكون كالنجوم في العدد وفي الوصف بالنور واللمعان ، فآنيته كنجوم السماء كثرة وإضاءة .

سابعاً : آثار هذا الحوض ، يقول المؤلف : **"من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً"** حتى على الصراط وبعده ، وهذا من حكمة الله؛ لأن الذي يشرب من الشريعة في الدنيا لا يخسر أبدا كذلك.

ثامناً : مساحة هذا الحوض ، يقول المؤلف : **"طوله شهر وعرضه شهر"**.

هذا إذاً يقتضي أن يكون مدوراً؛ لأنه لا يكون بهذه المساحة من كل جانب إلا إذا كان مدوراً ، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلوم في عهد النبي

---

(٣) شيخ الإسلام ابن تيميه في المتن المشروح العقيدة الوسطية .

(٤) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما .

صلى الله عليه وسلم من سير الأبل المعتاد .

تاسعاً : هل للأنبياء الآخرين أحواض؟

الجواب: نعم ، فإنه جاء في حديث رواه الترمذي وإن كان فيه مقال ((**إن لكل نبي حوضاً**))[1] .

لكن هذا يؤيده المعنى، وهو أن الله عز وجل بحكمته وعدله كما جعل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم حوضاً يرده المؤمنون من أمته ، كذلك يجعل لكل نبي حوضاً ، حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

الفائدة الرابعة والسبعون

اختلف العلماء في كيفية الصراط :-

- فمنهم من قال: طريق واسع يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، لأن كلمة الصراط مدلولها اللغوي هو هذا ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه دحض ومزلة[2] ، والدحض والمزلة لا يكونان إلا في طريق واسع ، أما الضيق فلا يكون دحضاً ومزلة .

- **ومن العلماء من قال**: بل هو صراط دقيق جدًّا كما جاء في حديث

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) وقال الألباني في " الصحيحة " (١٥٨٩) : وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح والله أعلم .

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

أبي سعيد الخدري الذي رواه مسلم بلاغاً [١]، أنه أدق من الشعر وأحد من السيف.

وهذه المسألة لا يكاد الإنسان يجزم بأحد القولين لأن كليهما له وجهة قوية .

الفائدة الخامسة والسبعون

أول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**أنا أول شفيع في الجنة**)) وفي لفظ ((**أنا أول من يقرع باب الجنة**)) [٢] وفي لفظ ((**آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت؟ فأقول: محمد ، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد من قبلك**)) [٣].

الفائدة السادسة والسبعون

الشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطاً ثلاثة :

الأول : رضى الله عن الشافع .

الثاني : رضاه عن المشفوع له ، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضى الله عنهم ومن لم يرض عنهم .

---

(٢) رواه مسلم (١٨٣) .

(٣) رواه مسلم (١٩٦) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

(٤) رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - .

الثالث : إذنه في الشفاعة، والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له .

ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] .

ولم يقل: عن الشافع ولا المشفوع له ليكون أشمل.

وقال تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩]. وقال سبحانه ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. فالآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة والثانية تضمنت شرطين والثالثة تضمنت شرطاً واحداً .

الفائدة السابعة والسبعون

أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم عشرة :-

أدرك الإسلام منهم أربعة فبقى اثنان على الكفر وأسلم اثنان:-

- فالكافران هما : أبو لهب ، وأبو طالب .
- واللذان أسلما هما العباس وحمزة رضي الله عنهما .

الفائدة الثامنة والسبعون

العلم المأثور عن الأنبياء قسمان :

قسم ثبت بالوحي: وهو ما ذكر في الكتاب والسنة الصحيحة ، وهذا

لا شك في قبوله واعتقاد مدلوله .

قسم آخر عن طريق النقل غير الوحي ، وهذا هو الذي دخل فيه التحريفُ والكذب والتبديل والتغيير .

وآثار السابقين على أقسام :-

الأول : ما شهد شرعنا بصدقه .

الثاني : ما شهد شرعنا بكذبه .

والحكم في هذين واضح .

الثالث : ما لم يحكم بصدقه ولا كذبه .

فهذا مما يجب فيه التوقف ، فلا يصدق ولا يكذب .

الفائدة التاسعة والسبعون

تنبيه :

باب اليوم الآخر وأشراط الساعة ذكرت فيه أحاديث كثيرة فيها ضعف وفيها وضع ، وأكثر ما تكون هذه في كتب الرقائق والمواعظ، فلذلك يجب التحرز منها ، وأن نحذر العامة الذين يقع في أيديهم مثل هذه الكتب.

الفائدة الثمانون

القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا ، ومترادفان إن تفرقا على حد قول العلماء : هما كلمتان إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا ، فإذا قيل: هذا

قدر الله ، فهو شامل للقضاء أما إذا ذكرا جميعاً فلكل واحدٍ منهما معنى.

الفائدة الواحدة والثمانون

العبودية لله نوعان:

عامة : وهي الخضوع لأمر الله الكوني كقوله تعالى ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

خاصة: هي الخضوع لأمر الله الشرعي، وهي خاصة بالمؤمنين، كقوله تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]. وقوله ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

الفائدة الثانية والثمانون

الإيمان يشمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح والدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**"(١) فهذا قول القلب، أما عمل القلب واللسان والجوارح فدليله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن**

---

(١) رواه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – .

الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[١] فهذا قول اللسان وعمله وعمل الجوارح، والحياء عمل قلبي، وهو انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء.

فتبين بهذا أن الإيمان يشمل هذه الأشياء كلها شرعاً.

الفائدة الثالثة والثمانون

أسباب زيادة الإيمان :

الأول : معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته .

الثاني : النظر في آيات الله الكونية والشرعية .

الثالث : كثرة الطاعات وإحسانها .

الرابع : ترك المعصية تقرباً إلى الله عز وجل .

وأما أسباب نقصانه فعكس الأربعة السابقة .

الفائدة الرابعة والثمانون

قسّم العلماء درجات اليقين إلى ثلاثة أقسام :-

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥ – ٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١] .

---

(١) رواه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – .

الفائدة الخامسة والثمانون

الفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء: إن الشيء المطلق يعني: الكمال، ومطلق الشيء يعني: أصل الشيء فالمؤمن الفاعل للكبيرة عنده مطلق الإيمان فأصل الإيمان موجود عنده لكن كماله مفقود .

الفائدة السادسة والثمانون

الآثار المروية في مساوئ الصحابة ثلاثة أقسام.

منها ما هو كذب محض لم يقع منهم ، وهذا يوجد كثيرًا فيما يرويه النواصب في آل البيت وما يرويه الروافض في غير آل البيت .

ومنها شيء له أصل لكن زيد فيه ونقص وغير عن وجهه وهذان كلاهما يجب رده .

القسم الثالث: ما هو صحيح فماذا نقول فيه ؟ هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون .

وهناك قسم رابع: وهو ما وقع منهم من سيئات حصلت لا عن اجتهاد ولا عن تأويل فبينه المؤلف بقوله : " وهم أي أهل السنة والجماعة مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ".

وأهل السنة والجماعة يثنون على الصحابة ويترضون عنهم ويستغفرون لهم وغير ذلك للأمور التالية:

أولاً : أنهم خير القرون في جميع الأمم كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: **"خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"** [1] .

ثانياً : أنهم هم الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته فمنهم تلقت الأمة عنه الشريعة .

ثالثاً : ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة .

رابعاً : أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة من الصدق والنصح والأخلاق والآداب التي لا توجد عند غيرهم .

وسب الصحابة رضي الله عنهم ليس جرحاً في الصحابة فقط ، بل هو قدح في الصحابة وفي النبي صلى الله عليه وسلم وفي شريعته وفي ذات الله عز وجل .

أما كونه قدحاً في الصحابة فواضح .

وأما كونه قدحاً في رسول الله صلى الله عليه وسلم فحيث كان أصحابه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق ، وفيه قدح في رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجه آخر ، وهو تكذيبه فيما أخبر به من مناقبهم وفضائلهم .

وأما كونه قدحاً في الشريعة: فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في نقل الشريعة هم الصحابة ، فإذا سقطت عدالتهم ،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –

لم يبق ثقة فيما نقلوه من الشريعة .

وأما كونه قدحاً في الله عز وجل: فحيث بعث نبيه صلى الله عليه وسلم في شرار الخلق ، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته !! .

فانظر ماذا يترتب من الطوام الكبرى على سب الصحابة .

الفائدة السابعة والثمانون

الشهادة بالجنة نوعان :

شهادة معلقة بوصف ، وشهادة معلقة بالشخص .

أما المعلقة بالوصف فأن نشهد لكل مؤمن أنه في الجنة وكل متقٍ أنه في الجنة ، بدون تعيين شخص أو أشخاص .

وهذه شهادة عامة يجب علينا أن نشهد بها لأن الله تعالى أخبر بها .

وأما الشهادة المعلقة بشخص معين : فأن نشهد لفلان أو لعدد معين أنهم في الجنة .

وهذه شهادة خاصة ، فنشهد لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء لشخص معين أو لأشخاص معينين . مثال ذلك العشرة المبشرين بالجنة ، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعيد بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير ابن العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح .

وقد جمع الستة الزائدون عن الخلفاء الأربعة في بيت واحد فاحفظه :

سعيدٌ وسعدٌ وابن عوفٍ وطلحةٌ وعامرُ فهرٍ والزبير الممدّحُ

الفائدة الثامنة والثمانون

أفضل هذه الأمة بعد نبيها :

آراء أهل السنة والجماعة في أفضل هذه الأمة بعد نبيها :

١- **الرأي المشهور والصحيح** : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

٢- **الرأي الثاني**: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم السكوت .

٣- **الرأي الثالث** : أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان .

٤- **الرأي الرابع** : أبو بكر ثم عمر ثم التوقف فهم يقولون : لا نقول : عثمان أفضل ، ولا علي أفضل ، لكن لا نرى أحداً يتقدم على عثمان وعلي في الفضيلة بعد أبي بكر وعمر .

الفائدة التاسعة والثمانون

اختلف العلماء في الأفضلية بين عائشة وخديجة :

فقال بعض العلماء: خديجة أفضل لأن لها مزايا لم تلحقها عائشة فيها.

وقال بعض العلماء: بل عائشة أفضل لحديث ((**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**))[1] ولأن لها مزايا لم تلحقها خديجة فيها.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه.

وفصل بعض أهل العلم فقال: إن لكل منهما مزية لم تلحقها الأخرى فيها : ففي أول الرسالة : لا شك أن المزايا التي حصلت عليها خديجة لم تلحقها فيها عائشة ، ولا يمكن أن تساويها ، وبعد ذلك بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل من عائشة من نشر العلم والسنة وهداية الأمة ما لم يحصل لخديجة ، فلا يصح أن تفضَّل إحداهما على الأخرى تفضيلاً مطلقاً ، بل نقول هذه أفضل من وجه ، وهذه أفضل من وجه ، ونكون قد سلكنا مسلك العدل ، فلم نهدر ما لهذه من المزية ولا ما لهذه من المزية ، وعند التفصيل يحصل التحصيل وهما وبقية أزواجه في الجنة معه .

الفائدة التسعون

أولياء الله هم من بيّنهم الله بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – **"من كان مؤمناً تقيًّا كان لله وليًّا"**.

الفائدة الواحدة والتسعون:

الكرامات تكون تأييداً أو تثبيتاً أو إعانة للشخص أو نصراً للحق، ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة؛ لأن الصحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات، فإن

الرسول صلى الله عليه وسلم كان بين أظهرهم، وأما التابعون فإنهم دون ذلك ، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييداً لهم وتثبيتاً ونصراً للحق الذي هم عليه .

والكرامات لها أربع دلالات :

١- بيان كمال قدرة الله ، حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله.

٢- تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل؛ لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير، فإذا تغيرت العادات والطبيعة دل على أن للكون مدبراً وخالقاً .

٣- أنها آية للنبي المتبوع .

٤- أن فيها تثبيتاً وكرامة لهذا الولي .

الفائدة الثانية والتسعون

الدليل على أن الكرامات موجودة إلى يوم القيامة سمعي وعقلي :

أما السمعي : فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر في قصة الدجال أنه يدعو رجلاً من الناس من الشباب فيأتي ويقول له : كذبت! إنما أنت المسيح الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتي الدجال فيقتله قطعتين، فيجعل واحدة هنا وواحدة هنا رمية الغرض "يعني: بعيد ما بينهما" ويمشي بينهما، ثم يدعوه فيقوم يتهلل ، ثم يدعوه ليقر له بالعبودية ، فيقول الرجل: ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم !

فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه[1].

فهذه " أي: عدم تمكن الدجال من قتل ذلك الشاب "من الكرامات بلا شك .

وأما العقلي: فيقال: ما دام سبب الكرامة هي الولاية ، فالولاية لا تزال موجودة إلى قيام الساعة .

الفائدة الثالثة والتسعون

آثار الرسول صلى الله عليه وسلم تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو أكثر :-

أولاً : ما فعله على سبيل التعبد ، فهذا لاشك أننا مأمورون باتباعه لقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثانياً: ما فعله اتفاقاً : فهذا لا يشرع لنا التأسي فيه؛ لأنه غير مقصود، كما لو قال قائل "ينبغي أن يكون قدومنا إلى مكة في الحج في اليوم الرابع من ذي الحجة"[2] لأن الرسول قدم مكة في هذا اليوم، فنقول: هذا غير مشروع، لأن قدومه في هذا اليوم وقع اتفاقاً .

ثالثاً: ما فعله بمقتضى العادة : فهذا ينبغي لنا أن نتأسى به، لكن

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٢) ، ومسلم (٢٩٣٨) عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه -.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٦٦) من حديث جابر قال : "وقدمنا الكعبة في أربعٍ مضين من ذي الحجة أياماً أو ليالي وهو حديث صحيح وأصله في صحيح مسلم.

بجنسه لا بنوعه بمعنى : أن نفعل ما تقتضيه العادة التي كان عليها الناس، إلا أن يمنع من ذلك مانع شرعي.

رابعاً : ما فعله بمقتضى الجبلّة ، فهذا ليس من العبادات قطعاً ، لكن قد يكون عبادة من وجه ، بأن يكون فعله على صفة معينة عبادة : كالنوم ، فإنه بمقتضى الجبلة ، لكن يسن أن يكون علي اليميـن .

الفائدة الرابعة والتسعون

س/ هل اتخاذ الشَّعْر عادة أم عبادة ؟

الجواب: يرى بعض العلماء أنه عبادة، وأنه يسن للإنسان اتخاذ الشعر.

ويرى آخرون: أن هذا من الأمور العادية ، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم للذي رآه قد حلق بعض رأسه وترك بعضه فنهاهم عن ذلك وقال : "**احلقوه كله أو اتركوه كله**" [1] .

وهذا يدل على أن اتخاذ الشعر ليس بعبادة ، وإلا لقال : أبقه ، ولا تحلق منه شيئاً .

---

(١) رواه النسائي (٥٠٤٨) ، وأبو داود (٤١٩٥) وأحمد (٥٦١٥) عن لبن عمر – رضي الله عنهما – .

الفائدة الخامسة والتسعون

من قسّم البدعة إلى أقسام ثلاثة أو خمسة أو ستة فقد أخطأ وخطؤه من أحد وجهين :

إما أن لا ينطبق شرعاً وصف البدعة على ما سّماه بدعة .

وإما أن لا يكون حسناً كما زعم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: "**كل بدعة ضلالة**"[1] فقال: كل، فما الذي يخرجنا من هذا السور العظيم حتى نقسّم البدع إلى أقسام ؟ .

والبدعة تستلزم محاذير فاسدة :

أولاً : تستلزم تكذيب قول الله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] لأنه إذا جاء ببدعة يعتبرها ديناً ، مقتضاه أن الدين لم يكمل .

ثانياً : تستلزم القدح في الشريعة ، وأنها ناقصة فأكملها هذا المبتدع .

ثالثاً : تستلزم القدح في المسلمين الذين لم يأتوا بها ، فكل من سبق هذه البدع من الناس دينهم ناقص وهذا خطير .

رابعاً : من لوازم هذه البدعة أن الغالب أن من اشتغل ببدعة انشغل

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣- ٤٤) وقد نقل الألباني في " إرواء الغليل " (٨/ ١٠٧) تصحيح جماعةٍ من أهل العلم له .

عن سنة، كما قال بعض السّلف "ما أحدث قوم بدعة إلا هدموا مثلها من السنة".

خامساً: أن هذه البدع توجب تفرق الأمة، لأن هؤلاء المبتدعة يعتقدون أنهم هم أصحاب الحق، ومن سواهم على ضلال. وأهل الحق يقولون: أنتم الذين على ضلال! فتتفرق قلوبهم.

الفائدة السادسة والتسعون

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-

الشرط الأول : أن يكون عالماً بحكم الشرع فيما يأمر به أو ينهي عنه، فلا يأمر إلا بما علم أن الشرع أمر به، ولا ينهي إلا عما علم أن الشرع نهى عنه، ولا يعتمد في ذلك على ذوق ولا عادة لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

فلو رأى شخصاً يفعل شيئاً الأصل فيه الحل، فإنه لا يحل له أن ينهاه عنه حتى يعلم أنه حرام أو منهي عنه.

ولو رأى شخصاً ترك شيئاً يظنه الرائي عبادة، فإنه لا يحل له أن يأمره بالتعبد به حتى يعلم أن الشرع أمر به.

الشرط الثاني : أن يعلم بحال المأمور : هل هو ممن يوجه إليه الأمر أو النهي أم لا ؟ فلو رأى شخصاً يشك هل هو مكلف أم لا، لم يأمره بما لا

يؤمر به مثله حتى يستفصل.

الشرط الثالث : أن يكون عالماً بحال المأمور حال تكليفه، هل قام بالفعل أم لا.

فلو رأى شخصاً دخل المسجد ثم جلس وشك هل صلى ركعتين فلا ينكر عليه ولا يأمره بهما حتى يستفصل ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة فدخل رجل فجلس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "**أصليت؟** قال: لا، قال: **قم فصل ركعتين وتجوز فيهما**"[1].

الشرط الرابع : أن يكون قادراً على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا ضرر يلحقه ، فإن لحقه ضرر لم يجب عليه لكن إن صبر وقام به فهو أفضل؛ لأن جميع الواجبات مشروطة بالقدرة والاستطاعة لقوله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: ١٦].

فإذا خاف إذا أمر شخصاً بمعروف أن يقتله ، فإنه لا يلزمه أن يأمره لأنه لا يستطيع ذلك ، بل قد يحرم عليه حينئذ . وقال بعض العلماء : بل يجب عليه الأمر والصبر وإن تضرر بذلك ما لم يصل إلى حد القتل ، لكن القول الأول أولى لأن هذا الأمر إذا لحقه الضرر بحبس ونحوه ، فإن غيره قد يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً مما حصل حتى في حال لا

---

(١) رواه البخاري (٩٣١) ومسلم (٨٧٥) واللفظ له عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

يخشى منها ذلك الضرر .

وهذا ما لم يصل الأمر إلى حد يكون الأمر بالمعروف من جنس الجهاد ، كما لو أمر بسنة ونهى عن بدعه ، ولو سكت لا ستطال أهل البدعة على أهل السنة ففي هذه الحال يجب إظهار السنة وبيان البدعة؛ لأنه من الجهاد في سبيل الله ولا يُعذر من تعين عليه بالخوف على نفسه .

الشرط الخامس : أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة أعظم من السكوت ، فإن ترتب عليها ذلك فإنه لا يلزمه بل لا يجوز له أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر .

ولهذا قال العلماء : إن إنكار المنكر ينتج منه إحدى أحوال أربعة :

إما أن يزول المنكر ، أو يتحول إلى أخف منه ، أو إلى مثله ، أو إلى أعظم منه

أما الحالة الأولى والثانية فالإنكار واجب .

وأما في الثالثة فهي محل نظر .

وأما الرابعة : فلا يجوز الإنكار لأن المقصود بإنكار المنكر إزالته أو تخفيفه

الشرط السادس: أن يكون هذا الآمر أو الناهي قائماً بما يأمر منتهياً عما ينهي عنه وهذا على رأي بعض العلماء استدلالاً بقوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا

تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

ولكن الجمهور على خلاف ذلك، وقالوا : يجب أن يأمر بالمعروف وإن كان لا يأتيه، وينهى عن المنكر وإن كان يأتيه، وإنما وبخ الله تعالى بني إسرائيل لا على أمرهم بالبر ولكن على جمعهم بين الأمر بالبر ونسيان النفس .

وقول الجمهور هو الصحيح، فنقول: أنت الآن مأمور بأمرين الأول: فعل البر، والثاني: الأمر بالبر، ومنهي عن أمرين: الأول: فعل المنكر، والثاني: ترك النهي عن فعله. فلا تجمع بين ترك المأمورين وفعل المنهيين ، فإن ترك أحدهما لا يستلزم سقوط الآخر.

الفائدة السابعة والتسعون

أهل السنة والجماعة ينصحون للأمة طاعة لله وتديناً له لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث تميم الداري :" **الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة** قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : **لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم** "(١) .

فالنصيحة لله صدق الطلب في الوصول إليه .

والنصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام صدق الاتباع له، ويستلزم ذلك الذود عن دين الله عز وجل الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال : " **ولكتابه**" .

---

(١) رواه مسلم (٥٥) .

فينصح للقرآن ببيان أنه كلام الله وأنه منزل غير مخلوق، وأنه يجب تصديق خبره وامتثال أحكامه ، وهو كذلك يعتقده في نفسه .

وأئمة المسلمين ، كل من ولاه الله أمراً من أمور المسلمين فهو إمام في ذلك الأمر ، فهناك إمام عام كرئيس الدولة ، وهناك إمام خاص كالأمير والوزير والمدير والرئيس وأئمة المساجد وغيرهم .

وعامتهم يعني : عامة المسلمين وهم التابعون للأئمة .

الفائدة الثامنة والتسعون

المصابون لهم تجاه المصائب أربعة مقامات :

المقام الأول : السخط ، المقام الثاني : الصبر ، والثالث : الرضى، والرابع : الشكر .

فأما السخط : فحرام بل هو من كبائر الذنوب ، مثل : أن يلطم خدّه، أو ينتف شعره ، أو يشق ثوبه ، أو يقول : وا ثبوراه ! أو يدعو على نفسه بالهلاك وغير ذلك مما يدل على السخط ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية))**[1] .

الثاني : الصبر : بأن يحبس نفسه قلباً ولساناً وجوارحاً عن التسخط فهذا واجب.

الثالث : الرضى ، والفرق بينه وبين الصبر : أن الصابر يتجرع المر لكن

(١) رواه البخاري (١٢٩٨) ومسلم (١٠٣) عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – .

لا يستطيع أن يتسخط ، إلا أن هذا الشيء في نفسه صعب ومر ، لكن الراضي لا يذوق هذا مراً ، بل هو مطمئن وكأن هذا الشيء الذي أصابه لا شيء .

وجمهور العلماء على أن الرضى بالمقضي مستحب وهو الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – .

الرابع : الشكر : وهو أن يقول بلسانه وحاله الحمد لله ، ويرى أن هذه المصيبة نعمة .

الفائدة التاسعة والتسعون

البغي : هو العدوان على الغير ومواقعه ثلاثة بينها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: **"إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام"**[1] فالبغي على الخلق بالأموال والدماء والأعراض .

في الأموال مثل أن يدعي ما ليس له ، أو ينكر ما كان عليه أو يأخذ ما ليس له .

وفي الدماء: القتل فما دونه ، يعتدي على الإنسان – معصوم الدم – بالجرح والقتل .

---

(١) رواه البخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – ، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة – رضي الله عنه – .

وفي الأعراض: يحتمل أن يراد بها الأعراض: يعني السمعة. فيعتدي عليه بالغيبة التي يشوه بها سمعته، ويحتمل أن يراد بها الزنا وما دونه، والكل محرم.

الفائدة المائة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب".

وهذا التعريف يقتضي أن الأشاعرة والماتريدية ونحوهم ليسوا من أهل السنة والجماعة؛ لأن تمسّكهم مشوب بما أدخلوا فيه من البدع، وهذا هو الصحيح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.